يوماً فجملة ايام السنة ٣٦٤ يوماً وبقي يوم من السنة العاديَّة جعلوهُ يوم رأس السنة وكان موقعهُ الاعتدال الربيعي ولم يجعلوهُ في شهورها وكانوا يحتفلون بهِ في كل المسكونة ويحسبونهُ يومين في السنة الكبيسة وكانت السنة تبتدئ يوم الاثنين دائماً فلم تعد مبادئ الشهور تتغير بالنسبة الى ايام الاسبوع

وتغير وجه الارض الجغرافي كما تقدم فطغى البحر على اليابسة في اماكن كثيرة وامتدَّت اليابسة الى البحر في غيرها بما القتهُ فيهِ الانهار من الصخور والاتربة ولكن المدد التي كفت لذلك لم تكن خمس مئة عام كما روى القزويني بل الوفاً من الاعوام وعشرات الالوف

وكرَّت العصور وتوالت الادهار والفواعل الطبيعيَّة تغير الارض وسكانها الى ان غمرت المياه اوربا كلها وجانباً كبيراً من اسيا واميركا وارتفع قاع الاوقيانوس الاتلنتيكي واشرق عليهِ نور الشمس وصار ميداناً للاحياء البريَّة . وسيأتي تفصيل ما جرى على الارض الى ان انقرض نوع الانسان عن وجه البسيطة

مشاهد اوربا

١٠

متاحف باريس

لا بدَّ لكل عاصمة من عواصم اوربَّا وابهات مدنها من دور تجمع فيها ما عندها من التحف والآثار لا لمجرَّد حفظها او المباهاة بها بل رغبةً في ما ينتج عنها من الفوائد العلميَّة والتاريخيَّة ولذلك تناط ادارة هذه الدور او المتاحف باناس خبيرين بما فيها يرتبون تحفها وينسقونها تنسيقاً يظهر منهُ تاريخها وتدرُّجها في الارتقاء او الانحطاط ويبنون لها الدور الفخيمة على اسلوب تظهر بهِ بهجتها من حيث النور والظل وما اشبه. او يودعونها قصور ملوكهم وعظمائهم . وقد شاهدتُ في باريس ما لم اشاهدهُ في مدينة اخرى حتى الآن من هذه المتاحف فان قصر اللوفر العظيم موقوف عليها وكذا جانب كبير من قصر لكسمبرج وقصر التروكادرو وقصر الصناعة وقصر كلوني وبستان النبات . ولو أردت ان اصفها كلها حقَّ الوصف لوجب ان اقيم السنين في باريس واتعلَّم فن التصوير والنقش وأُعطي بلاغة

في الوصف لم يعطها الاَّ نفر قليل وانقطع الى دراسة ما فيها وانشاء المقالات الضافية في وصفها. لكن ما لا يدرك كلهُ لا يترَك كلهُ. فقد يرضى القارئ بوصف الصورة المجملة التي رسخت في ذهني بعد ان شاهدت كل متحف من هذه المتاحف ساعات قليلة

اما قصر اللوفر فمن اعظم قصور باريس شأنًا بل من اعظم قصور الملوك قاطبةً فيما يقول الخبيرون. وضع اساسهُ الملك فرنسيس الاول سنة ١٥٤٠ واناط بهِ اشهر مهندسي عصرهِ. وتوفي هذا الملك سنة ١٥٤٧ لكن بناء القصر استمرَّ في عهد خلفائهِ الى ايام نبوليون الثالث ولم ينقطع الاَّ في ايام الملك لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر. وقد جاد ملوك فرنسا بالمال وبذل المهندسون والنقاشون جهد الطاقة في تشييد هذا البناء الفخيم وتزيينهِ بالصور والتماثيل مدة ثلثمئة عام حتى ان ما بني منهُ في عهد نبوليون الثالث وحدهُ بلغت نفقتهُ خمسة وسبعين مليونًا من الفرنكات فلا بدعَ اذا جاء من اعظم قصور الملوك فخامةً وزخرفةً

وقد اعتنى ملوك فرنسا من اول عهدهم بجمع التحف الصناعيَّة في هذا القصر وانتداب اشهر مصوري العصر لتزيينهِ بالصور البديعة وكانت خاتمة امرهِ ان صار اكثرهُ دارًا للتحف. والتحف التي فيهِ الآن مقسومة حسب مواضيعها فهناك الآثار المصريَّة التي جلبها الفرنسويون من القطر المصري والآثار الاشوريَّة والبابليَّة والفينيقيَّة والقرطاجنيَّة والقبرصيَّة واليونانيَّة والرومانيَّة ومجموع كبير من صور اشهر مصوري اوربا ومن تماثيل اشهر النقاشين ومصنوعات ارباب الفنون. ومثل تمثل جميع انواع الاساطيل والبوارج والقوارب القديمة والحديثة وكل ما يتعلق بالملاحة وكل ما يتعلق بفتح ترعة السويس وما لا يحصى من التحف الصينيَّة والهنديَّة واليابانية. وهناك مجاميع صغيرة جامعة لتحف متنوعة بين حلًى وصور وتماثيل وما اشبه كالمجموع الذي اهداهُ الموسيو تيرس الى الامة الفرنسويَّة فان فيهِ صورًا مختلفة منقولة عن اشهر المصورين وصحافًا ثمينة منها صحفة وابريق من معمل سافر ثمنهما خمسون الف فرنك وفيهِ عقد زوجة تيرس من اللؤلؤ والالماس وثمنهُ مليون من الفرنكات وواسطتهُ لؤلؤة كبيرة يقال ان ثمنها وحدها عشرون الف فرنك وصليب وذخيرة مرصعان بالالماس والياقوت والفيروز. وبمثل ذلك تعمر المتاحف الاوربيَّة فان عظماء الاوربيين يجودون عليها بكل نفيس ولو قضوا العمر في تطلبهِ حتى النساء لا يبخلنَ عليها بحلاهنَّ

ولما دخلتُ غرف الآثار المصريَّة ورأيت ما فيها من التماثيل مما يزيد ثقلهُ على مئات

من القناطير الى ما يقل عن انملة الاصبع ومن كل ما حُفظ الى هذا العهد من مصنوعات المصريين القدماء على اختلاف اشكالها ومعادنها حتى اجسامهم نفسها وتمّا مضى عليهِ ستة آلاف سنة تظللهُ سماء مصر وتشرق عليهِ شمسها الى ما صنع فيها بعد التاريخ المسيحي . لمّا رأيت ذلك كلهُ اكبرتُ همة الفرنسويين واحمدتُ حرصهم على آثار الاقدمين فانهم لم يكتفوا بنقل التحف الصغيرة وآثار الصناعة بل نقلوا النواويس والحطام ولم يكتفوا بحفظها من التلف بل اسكنوها اعظم قصور ملوكهم . وهم اول من حلّ رموز الكتابة المصريّة التي نظر اليها اسلافنا الفاً وخمس مئة عام فحسبوها رقّى وطلاسم وقد نتج من قراءة هذه الكتابة ونبش الآثار المصريّة من مدافنها أن عُلِم تاريخ المصريين الاقدمين واحوالهم الدينية والعلمية والسياسية والادبية وصارت مصر مقصدًا للسيّاح من اوربا واميركا فيقصدها الوف منهم كل عام وينفقون فيها الاموال الطائلة

ولما دخلتُ الغرف الاشوريّة والبابليّة زادت دهشتي لان هناك تماثيل الثيران الاشوريّة الضخمة منصوبة على جوانب الابواب كالابراج وجدران كاملة من الاجر المطلي بطلاء زجاجي مزخرف ببديع الالوان من الابيض والاصفر والزنجاري لكن لا ازرق فيها ولعلّ ذلك يُعلَّل بما ذهب اليهِ البعض من ان قدماء الاشوريين لم يكونوا يرون اللون الازرق . وهناك تاج عمود من قصر داريوس وعليهِ قطع من روافد الارز التي كان السقف مسندًا اليها . اما الصفائح والاساطين والخواتم الاشوريّة فلا تسأل عن عددها وتلك الصفائح مكاتب كبيرة سجلت فيها علوم الاشوريين وتواريخهم وعقودهم . ولقد احسن الفرنسويون والانكليز في استخراج هذه الكنوز التاريخيّة وعرضها لبحث العلماء ولولا ذلك لبقيت في مدافنها تفيض عليها مياه دجلة والفرات الى ان يعتريها البلى وتصير هباء منثورًا

ولما دخلتُ غرف الآثار الفينيقية ورأيت الحجر الموآبي ونواويس ملوك صور وصيداء اهاج قذاء عيني الاذكار ووقفتُ هنيهة اشكو تصاريف الزمن واقول ألم يبقَ من آثار اسلافنا سوى الحطام والعظام وشرذمة متفرقة في الاقطار تلتمس الرزق على ما بها من الهمة الشمّاء وبلادها تفيض اللبن والعسل

وبالقرب من هذه الآثار مجاميع كبيرة من الخزف والزجاج . ويظهر لي ان الفرنسويين فاقوا امم الارض قاطبة في صناعة الخزف الصيني لانني رأيت في متاحفهم ولا سيما في هذا المتحف آنية كثيرة من معمل سافر تفوق في جمالها واتقانها جميع آنية الخزف الصينية واليابانية والهنديّة واليونانية والرومانية والعربية والايطالية والانكليزيّة والالمانية وقد

يكون ثمن الاناء منها اكثر من خمس مئة الف فرنك . وهناك ايضاً عدد الخيول التي كان يركبها مماليك مصر وعليها صفائح الفضة والذهب وعدد خيول الامير عبد القادر الجزائري

وفي هذا المتحف سيف نبوليون الاول وفيهِ من الحجارة الكريمة ما يساوي اربعة ملايين من الفرنكات والالماسة الكبيرة المسماة رجنت وثمنها اكثر من اثني عشر مليوناً من الفرنكات والماسة المزارين وثمنها اربعة ملايين ونصف من الفرنكات وحجر من الياقوت في شكل تين يساوي سبعة ملايين فرنك وصولجان الملك كارلس الكبير (شارلمان) ونصل سيفهِ وخنجر ماريا ده مديسي ونحو ذلك من التحف والجواهر النادرة المثال

وفيهِ من الصور الثمينة ما لا يقدَّر بمال فان الواحدة من صور كبار المصورين تباع بالوف من الجنيهات فما قولك بدار جمعت مئات بل الوفاً من هذه الصور . وكذا التماثيل القديمة التي استخرجت من ايطاليا وبلاد اليونان واكثر جهات اوربا واسيا فان كثيراً منها قد وصل الى هذا المتحف واشهرها بل اشهر ما في اللوفر تمثال للزهرة وجد في جزيرة ميلو عند مدخل الارخبيل الرومي وهو مكسور الذراعين فابتاعتهُ الحكومة الفرنسويَّة بستة آلاف فرنك فقط ولكنها انفقت مليوناً من الفرنكات في التنقيش عن ذراعيهِ فلم تجدها . وقد وقفت على نبذة وجيزة في وصفهِ لاحد كبار الكتَّاب قال فيها ما ترجمتهُ " لم يصل الينا من تماثيل الزهرة تمثال يمثلها كالاهة لا كامرأةٍ جميلة فقط غير هذا التمثال . وقد تجلل بالمهابة والوقار على ما فيهِ من الجمال الذي يفوق الوصف . وفي رأسهِ من المعاني البديعة ما ينطق بترفُّع تلك الالاهة عن كل المطالب البشرية واستقلالها باوصافها الالهيَّة . ولم يطنب الكتَّاب الاقدمون بوصفهِ ولا خصوهُ بالذكر وفي ذلك دليل على انهُ كان عندهم تماثيل كثيرة مثلهُ او اجمل منهُ ولو لم يصل الينا منها شيءٌ "

وقد اجمع مشاهير النقَّاشين على الاعجاب بهذا التمثال وقلدوهُ مراراً كثيرة وصوَّرهُ المصورون صوراً فوتوغرافيَّة لا تحصى من جهات مختلفة وابعاد متفاوتة

وهناك تماثيل كثيرة للزهرة وابلو وارطاميس وكلها من الآثار الفاخرة التي تدلُّ على ان الاقدمين بلغوا غاية ما يمكن البلوغ اليهِ في صناعة عمل التماثيل

اما قصر لكسمبرج فبني بين سنة ١٦١٥ و١٦٢٠ وهو الآن دار لمجلس الشيوخ الفرنسوي ووصفهُ يقتضي مقالة طويلة لما فيهِ من بديع الزخرفة ومن الصور والتماثيل التي صنعها كبار المصورين والنقَّاشين وجانب منهُ مخصص بمصنوعات المصورين والنقَّاشين الذين

لم يزالوا في قيد الحياة او ماتوا منذ عهد قريب وقد رأيت فيهِ اربعاً من صور ميسنيه المصور الفرنسوي الشهير الذي توفي منذ سنتين وتباع الصورة من صورهِ بعشرة آلاف جنيه او اكثر ولم تبع صورة في حياة مصورها باكثر مما بيعت صور هذا المصور في حياتهِ. وتمتاز صورهُ بدقتها فان هناك صورة طولها ١٤ سنتمتراً وعرضها ١٢ سنتمتراً فقط ومع ذلك ترى فيها نبوليون الثالث وكثيرين من الرجال كأنك تنظر اليهم ببلورة او بمرآة تصغر صور المرئيات كثيراً فتزيد الوانها بهاء

ومتحف بستان النبات على جامع لما لا يحصى من التحجرات والمعدنيات وهياكل الحيوانات حتى ان متحف جنينا الذي وصفتهُ في احدى رسائلي الماضية لا يحسب شيئاً بالنسبة الى هذا المتحف . وكأن الفرنسويين جمعوا كل ما لهُ فائدة علمية في الارض قاطبةً وعرضوهُ في هذا المتحف فترى فيهِ هياكل كل انواع الحيوان من حوت البحر الشمالي الذي يبلغ طولهُ مئة قدم فاكثر الى اصغر الهوام والحشرات ومثلاً من صنوف الناس على اختلاف بلدانهم واشكالهم وكل ما ذكرهُ السيَّاح من الغرائب التي شاهدوها في اقاصي الاقطار كالاميركيين الاصليين ذوي الشعور الطويلة والزنجيَّات ذوات الاثدي المتدلدلة والاكفال البارزة ونحو ذلك مما يطول شرحهُ . وفيهِ ايضاً كثير من الحيوانات الحيَّة كالفيل والاسد والببر (نمر الهند المخطط) والنمر والفهد وفرس النهر واسد البحر والتمساح وثور المسك وحمار الوحش وكلها حية ويعتني بها اشد الاعتناء وقد رأيت الناس وقوفاً حولها واولادهم يلعبون في ذلك البستان الفسيح ويلاعبون الحيوانات الداجنة ويطعمونها . وابو الحرث رابض في قفصهِ

يدلُّ بمخلبٍ ويحد نابٍ وباللحظات تحسبهنَّ جمرا

والببر يخطر في قفصهِ ذهاباً واياباً ضجراً ملولاً والضبع والدب وبنات آوى تخلدة الى السكينة لا ترى من الاسر مناصاً وكلها مرعيَّة الحرمة لا يُرَى الاَّ في اوقات معلومة

وفي قصر التروكادرو امثلة جميع التماثيل والنقوش المشهورة حتى الابواب والمدافن الفخيمة . اي ان ما لا يمكن نقلهُ الى باريس من بقية البلدان صنع لهُ مثال قدرهُ من الجبس لكي يراهُ الصنَّاع ويكفوا مشقة السفر الى مكانهِ ليشاهدوهُ فيهِ . وقد جمعوا في هذا القصر من جميع امتعة الناس في كل البلدان والاقاليم من الثياب والحلي والاسلحة والكراسي والوسائد والاسرَّة والقدور والمراجل والصحاف والخصاص والتماثيل المعبودة واقاموا فيهِ تماثيل لابسة ملابس الناس في كل البلدان والاقاليم حتى يرى فيهِ الانسان

كل ما يمكن ان يراهُ لوطاف المسكونة كلها من اقاصي الهند والصين الى اقاصي اميركا الشمالية والجنوبية

وفي قصر كلوني شيءٌ من ذلك وفيهِ من جميع ما صنعهُ الناس في القرون الوسطى كالثياب والسلاح والاسرَّة والموائد والكراسي والكتب والاحذية والاقفال والمفاتيح والحلى والجواهر والساعات والمزاول والاسطرلابات والكرات والخرائط والآنية الخزفية والصينية والزجاجية والبلورية والمركبات القديمة والبسط والتماثيل والخزائن. وكل ذلك مرتب ترتيباً يظهر منهُ تدرُّج هذه المصنوعات في التقدم او التأخر وهناك كثيرٌ من صحاف بالسي المشهورة التي تباع الصحفة منها الآن بالوف من الجنيهات ومُثل صغيرة تمثل جميع طوائف الناس بملابسهم المختلفة . وبناء هذا المتحف قديم لا يدلُّ ظاهرهُ على ما فيهِ من نفيس التحف حتى لم يكن في نيتي دخولهُ لولا لجاجة الدليل فلما دخلتهُ وطفت بهِ رأيتهُ من ابدع متاحف باريس واغناها . ومتحف قصر الصناعة لا يقل عنهُ في التحف القديمة والحديثة فترى فيهِ ثياب الملوك وامتعتهم واسرتهم وخزائنهم وما لا يحصى من الآنية الخزفية والصور والرسوم

وجملة القول ان الفرنسويين لم يتركوا سبيلاً لتنشيط الفنون وتعميم المعارف وحفظ آثار السلف الاَّ اتخذوهُ فتحلت عاصمتهم بهذه التحف النفيسة وكثر مجيء السياح اليها وشبَّ ابناؤها عارفين ما لا يعرفهُ غيرهم الاَّ بعد العناء الكثير والنفقات الطائلة

١١

اعلام باريس ومتاجرها

لا بدَّ لكل امة رقيت مراقي الحضارة وضربت في العمران اوتاداً من ان تقيم الانصاب والاعلام تذكاراً لرجالها وللحوادث الشهيرة التي جرت فيها . وقد سارت الامة الفرنسويَّة على هذه الخطة وبلغت فيها شأواً بعيداً فترى الاعلام منصوبة في الحدائق والميادين والساحات والطرق عدا ما في قصورها ومتاحفها نيراها الابناء ويسألون آباءهم عن سير اصحابها ويحاولون الاقتداء بهم لنيل المجد والشهرة . ومن اعظم هذه الاعلام قوس النصر وهي اكبر اقواس النصر القائمة في المعمورة . شرع نبوليون الاول في بنائها سنة ١٨٠٦ واتمها الملك لويس فيليب سنة ١٨٣٦ وهي بناء فخيم قائم الزوايا ارتفاعهُ ١٦٠ قدماً وطولهُ ١٤٦ قدماً وعليهِ صور كبيرة بارزة منها صورة زحف الجنود الفرنسويَّة سنة ١٧٩٢ وصورة تغلب نبوليون على النمسويين . ومقاومة الفرنسويين للجنود المتألبة على محاربتهم

ونحو ذلك من الصور التاريخيَّة . والقوس على نجوة من الارض فترى من كل الاماكن ويتفرع منها اثنتا عشرة طريقًا تفرُّع الاشعة من النجم ولذلك تسمى قوس النجم. وقد بلغت نفقة انشائها اربع مئة الف جنيه . وفي باريس اقواس اخرى غيرها لكنها لا تدانيها عظمة

ومن اشهر الاعلام عمود فندوم اقامهُ نبوليون الاول بين سنة ١٨٠٦ وسنة ١٨٠٧ تذكارًا لتغلبهِ على الروسيين والنمسويين . وهو شبيهٌ بعمود ترجان في رومية ومحاط من اسفلهِ الى اعلاهُ بصفائح من البرنز عليها صور معارك نبوليون سنة ١٨٠٥ وما غنمهُ فيها من الغنائم الكثيرة . وهذه الصور بارزة منطبقة على الحقيقة اشد الانطباق حتى ان صور القاعدة توهم انها اسلحة وامتعة حقيقيَّة معلقة تعليقًا . وقد سبكت هذه الصفائح من الف ومئتي مدفع غنمها نبوليون من الروسيين والنمسويين فهي تذكار دائم لانتصارهِ عليهم كما انها تذكار خالد لاهوال الحروب ومطامع الانسان . وطول العمود ١٧٤ قدمًا اي انهُ ضعفا عمود السواري الذي في الاسكندريَّة ولكن العين لا تستعظمهُ ولا ترتاح الى رؤيتهِ اكثر مما تستعظم عمود السواري وترتاح الى رؤيتهِ كأنها تعلق العمود المصنوع من قطعة واحدة بما يقتضيهِ قطعهُ ونقلهُ ونصبهُ من المشقة فتكبر امرهُ وتستعظم همة ناصبهِ ثم تبتهج بأشعة النور المنعكسة عن سطحهِ الصقيل بخلاف الاعمدة الاوريَّة المصنوعة في الغالب من قطع كثيرة وقد علاها سواد الدخان فأزال بهجتها فان العين لا تستعظمها ولا تستجملها . ولولا الصور المحكمة على هذا العمود لزال اكثر رونقهِ . وعلى رأسهِ تمثال نبوليون الاول بالحلة الامبراطوريَّة وقد كان هذا التمثال (والعمود كلهُ) غرضًا لسهام الاميال السياسيَّة فانزلهُ حزب الملكية سنة ١٨١٤ وسبكوهُ تمثالاً للملك هنري الرابع بدل تمثالهِ الذي سبك مدفعًا سنة ١٧٩٢ ووضعوا عوضًا عنهُ تمثال زنبقة كبيرة ونصبوا فوقها علمًا ابيض . ولكن الملك لويس فيليب امر بسبك تمثال آخر لنبوليون بحجتهِ العادية ووضعهُ على رأس العمود فانزلهُ نبوليون الثالث وابدلهُ بتمثال مثل التمثال الاول الذي انزلهُ الملكيون . ثم اجتمع الكومون حول العمود سنة ١٨٧١ وطرحوهُ على الارض وحطموهُ لكن حطامهُ حفظت من التلف ثم جمعت واقيم العمود منها ثانيةً سنة ١٨٧٥ دلالة على ان الاغراض السياسيَّة لا تصرف الجمهوريَّة الحاضرة عن مراعاة مجد فرنسا مهما كان رأي الساعين فيهِ

ومنها عمود يوليو (تموز) وقد أُقيم بين سنة ١٨٣٠ و ١٨٤٠ تذكارًا للذين ماتوا

في خراب حصن البستيل . فانهُ كان في الساحة التي فيها هذا العمود حصنٌ قديم سُجن فيهِ الدين وقهوا فريسة للظلم والاستبداد وتسدَّد منهُ المدافع على أحياء العمَّال فتغل ايديهم عن العمل وتلجم السنتهم عن الشكوى فلما نُفخ فيهم بوق الثورة سنة ١٧٨٩ عزموا على استخلاص هذا الحصن من يد الحكومة وهدمهِ . وكان ثخين الجدران شاهق الابراج محاطاً بالخنادق لكنَّ همم الرجال لايقوى عليها شيء فهجموا عليهِ مستبسلين واخذوهُ عنوةً وقتلوا حاميتهُ ومحوا من البلاد اثرًا من آثار الاستبداد . ثم هُدم كلهُ وأُقيم مكانهُ هذا العمود الشاهق وهو قائم على دكة من الرخام الابيض بناها نبوليون الاول قاصدًا ان يقيم عليها تمثال فيل كبير من النحاس يكون ارتفاعهُ ٢٥ مترًا فلم يتم لهُ ذلك. وعلوُّ العمود مع قاعدتهِ ١٥٤ قدمًا وعلى القاعدة من جهاتها الاربع رمز العدل والدستور والقوة والحريَّة . والعمود نفسهُ من البرنز وهو متلَّم ومنطق بأربع مناطق تزيدهُ جمالاً وبين مناطقهِ اسماء ٦١٤ من الذين استقتلوا في الهجوم على البستيل وعلى رأسهِ كرة كبيرة عليها تمثال الحريَّة شعار ذوي النفوس الابيَّة

ومنها سبيل النصر أُنشئ مكان سجن قديم تذكارًا لنصرات بونابرت الاولى وعلى رأسهِ تمثال الاهة النصر ويدها اكليل الظفر وحول قاعدتهِ اربعة تماثيل كبيرة من تماثيل ابي الهول يتدفق الماء منها غزيرًا . ومنها تمثال الجمهوريَّة المنصوب في ساحة الجمهوريَّة وهو من البرنز ارتفاعهُ ٣٢ قدمًا وتحتهُ قاعدة من الحجر ارتفاعها خمسون قدمًا وحولهُ تماثيل الحريَّة والمساواة والاخاء وفيهِ صور كثيرة بارزة تمثل حوادث شهيرة في تاريخ فرنسا وهناك اشجار باسقة وفوارات يتدفق منها الماء صافيًا كالبلور . ومنها نصب غمبتًا الخطيب الشهير وهو هرَم كبير من الحجر امام قصر اللوفر عليهِ تماثيل كثيرة بارزة اعظمها تمثال غمبتًا من البرنز وعلى رأس النصب تمثال عذراء جالسة على اسد مجنح وهو من البرنز ايضًا. ولو اردتُ تعداد جميع الانصاب لطال بي الشرح جدًّا . ومن الغريب انني لم أرَ نصبًا لنبوليون الثالث مع ان فرنسا كانت في ايامهِ راقية مراقي الفلاح . لكنَّ من الناس من تدفن حسناتهُ معهُ ولا تذكر لهُ الاَّ السيئات

اما متاجر باريس فواسطة عقدها البورصة وهي بناء فخيم من الطراز اليوناني الروماني محاط برواق من الاعمدة الكبيرة ككنيسة المجدليَّة وطول البناء كلهِ ٢٢٥ قدمًا وارتفاعهُ مئة قدم وفي وسطهِ دار فسيحة تغصُّ بالتجار يوميًّا من الظهر الى الساعة الثالثة او الرابعة حتى اذا وقف الانسان في الرواق المطل على هذه الدار سمعهم يضجون ورآهم يموجون

كالبحر الزاخر. وهذه الضوضاء التي تسمع لهم من الاروقة لا تسمع كذلك اذا وقف الانسان بينهم كأنّ سقف الدار يعكس الاصوات ويردد صداها مرارًا . ويقال ان هذه البورصة تتعاطى من الاشغال التجاريّة في السنة ما قيمتهُ الفا مليون من الجنيهات . ويدلوها بورصة التجارة وهي قاعة مستديرة يؤمها التجار من الساعة الاولى بعد الظهر الى الثالثة

وفي باريس من المخازن الكبيرة ما لا مثيل لهُ في اوربا منها مخزن اللوفر ومخزن الرخص (بون مارشه) ومخزن الربيع . اما مخزن اللوفر فبازاء قصر اللوفر وهو من المباني الكبيرة الدالة على عظمة باريس واجتهاد اهلها في ترويج بضائعهم فان طولهُ مئة وخمسون مترًا وعرضهُ ستة وخمسون مترًا وهو ست طبقات فيهِ الفان وخمس مئة وخمسون رجلاً واربع مئة وخمسون امرأةً . فجملة العمال فيهِ من باعة وكتّاب وغيرهم ثلاثة آلاف شخص وهم يأكلون ظهرًا ومساء من طعام يطبخ لهم فيهِ متناوبين على الطعام تناوبًا. وفيهِ ثلثمئة خادم لارسال البضائع الى خارج باريس ومئتا فرس لجرّ المركبات بالبضائع في باريس وضواحيها واربعون رجلاً مستعدون دائمًا لاطفاء النار اذا شبت فيهِ وآلات معدة لذلك في كل ناحية منهُ . ويبلغ ثمن البضائع التي تباع فيهِ سنويًا مئة وخمسة وعشرين مليونًا من الفرنكات كما اخبرني مديرهُ . وقلما يطلب الانسان شيئًا من البضائع والامتعة الاّ ويجدهُ في هذا المخزن ففيهِ من الاسرّة والموائد والكراسي والمرايا والخزائن والثياب على اختلاف انواعها واشكالها وجميع الآنية وادوات الزينة كالمراجل والصحاف والملاعق والمزاهر والصور وفيهِ خمس روافع لرفع الناس من طبقة الى اخرى بلا عناء وطرق حديديّة ولوليّة لانزال البضائع من أعلى الى اسفل او لنقلها من جهة الى اخرى . وقد جلتُ في هذا المخزن ساعات متوالية وعجبتُ من مهارة الاوربيين في إحكام الاعمال واتقانها حتى كأنّ اولئك الثلاثة الالاف آلات ساعة واحدة يتحرّك كلٌّ منها في دائرتهِ ويقضي كلٌّ منها وظيفة خاصة بهِ مع انهم يقضون كلهم غرضًا واحدًا وهو ترويج بضائع المخزن وزيادة ربح اصحابهِ

وشوارع باريس الكبيرة غاصة بالمركبات تثقلُ الركاب وتحمل البضائع حتى يتعذر السير فيها احيانًا وحوانيت الحلي تتألق جواهرها نهارًا وليلاً ولكنّ الشارين قليل عددهم واذا سألتَ اصحابها عن سبب ذلك قالوا لك ان فصل البيع والشراء يبتدئ بعد شهرين حين يعود الناس من مصايفهم وينقاطر السيّاح من انكلترا واميركا وظهر لي من الحديث مع غير واحد انهم يعتمدون على الانكليز في بيع الجانب الكبير من بضائعهم فاعجب لاهل تلك الجزيرة القاصية الذين يروجون سوق التجارة حيثما حلوا

١٣

ملاهي باريس ومنتزهاتها

يمتاز الفرنسويون عن اكثر الامم الشماليَّة بميلهم الى اللهو والطرب كأن جوَّ بلادهم الصافي يشرح صدورهم ويبسط نفوسهم فلا يرون لهم غنىً عن الملاهي. وسواء صح هذا التعليل او لم يصحَّ فقد اكثروا من الملاهي في عاصمتهم وجادوا لها بالمال الوافر فتراها قائمة كالصروح الباذخة وواسطة عقدها دار الأوبرا وهي اعظم بناء بني لهذا الغرض وظاهرها فخيم مزدان بالعمد والتماثيل ومحاط بالمصابيح تحملها العذارى النحاسيَّة او العمدان المجزَّعة ولكنهُ لا يقاس بداخلها في زينته وبديع هندسته . وقد دخلتها وفي نيتي سماع الغناء ورؤية التمثيل فرأيتُ بناءً فسيحاً مرفوعاً على عمد من المرمر المجزَّع من كل الالوان التي جادت بها صخور اوربا البركانيَّة والمائيَّة تتخللها افاريز اجاد الصياقلة صقلها فعكست النور كالمرايا وبينها تماثيل مشاهير الشعراء والمغنين والمغنيات والممثلين والممثلات وفوقها صور بديعة تأخذ الابصار طلاوتها والانوار الساطعة تتلألأ في جوانب المكان وتنعكس اشعتها عما في رؤوس الغيد ونحورهنَّ من الجوهر الثمين فتتألق كالشهب الثواقب . ثم دخلت مكان الجلوس فرأيتهُ سماءً رفع المهندسون سماكها ونظموا مخادع المشاهدين على دائرها طبقات بعضها فوق بعض كعنقود الدر وفرشوها بالمخمل الوثير وعلقوا في قبتها ثريَّا كبيرة تتألق منها الوف من الانوار الكهربائيَّة بل من الشموس المضيئة. وكانت الكراسي والمخادع مملوءة بالمشاهدين فجلست في مخدع منها ابتعتُ حق الجلوس فيهِ من اول النهار

والتمثيل في الاوبرا يُعتمَد فيهِ على الشعر والغناء فلا ينطق الممثلون الاَّ شعراً يلحنونهُ تلحيناً او يغنونهُ غناء تعاونهم عليهِ آلات الطرب الكثيرة. وقد بذل الشعراء والمغنون والممثلون جهدهم في إطراب الاذن وإقرار العين بالحان ومشاهد غالوا فيها حتى بعدت عن المألوف عندنا بعداً شاسعاً ولكنهم تدرَّجوا الى ذلك تدريجاً فلم يرقوا درجةً الاَّ بعد ان ألف الناس ما قبلها. وما زالوا يهيمون في فيافي الخيال حتى بعدوا عن الحقيقة الطبيعيَّة او العرفيَّة بعد الثريا عن الثرى . ومثلهم في ذلك مثل شعراء العرب ومصوري المصريين القدماء فان الشعر العربي خرج عن الحقيقة الى الخيال وبالغ الشعراء في التخيل ولم يكتفوا بتجريد الجمال من الشمس والسرعة من البرق والشجاعة من الاسد والاعتدال من البان والرقة من النسيم بل جعلوا المشبه مشبهاً بهِ وتفننوا في اساليب المجاز حتى صار الشعر لغزاً من الالغاز . والمصوَّرون المصريون رأوا زهرة النيلوفر تميل الى الانتظام

الهندسي في شكلها فجعلوا يبالغون في انتظامها حتى صارت تصوّر شكلاً هندسيًّا لا زهرة طبيعيّة . وقس على ذلك بقيّة صورهم وتماثيلهم فانها كانت في عهد الدول الاولى منطبقة على الاشكال الطبيعيّة ثم خرجت عنها رويدًا رويدًا اتباعًا للاشكال التصوريّة . وهذا شأن الواصفين من الشعراء والكتّاب عمومًا في كل زمان ومكان فانهم يبالغون في صورة الحسن حتى يخرجوها عن الوضع الطبيعي. ولولا ما يعترضهم من الفترة حينًا بعد حين لما بقي من اوصافهم شيء يفهم لهُ معنى . ومعلوم ان الاجنبي الذي لم يتوالَ على ذهنهِ تلك الصور يراها لاول وهلة بعيدة عن الحقيقة كما هي. وهذا كان تأثير الاوبرا الفرنسويّة في نفسي فان الغناء فيها بعيد عن اكثر ما سمعتهُ وعن كل ما يمكن ان ينطق بهِ انسان لم يجهد اعضاء صوتهِ اجهادًا يخرجها عن الوضع الطبيعي. وبعد عن الظن ان الحنجرة سترتقي في ابنائنا حتى تصير اصواتهم مترجرجة كاصوات اولئك المغنين والمغنيات. ولعل الملائكة في السماء تضطرب اصواتها رهبة من الخالق فترتجف هذا الارتجاف. وغاية ما اقولهُ ان آذان الاوربيين واوتار السمع فيها وفي مراكزها العصبيّة اعتادت هذا الارتجاف وما يتخللهُ من الصراخ فألفتهُ وصارت ترتاح اليهِ ولا يبعد ان ينبهها منبهٌ منها الى خروجهِ عن الطبيعة فتصير تنفر منهُ كما تنفر الآن من حداء العرب في البادية . اما الغناء كصناعة فلا شبهة في انهُ قد بلغ في هذه الاوبرا مبلغًا عظيمًا من الاتقان والاحكام

ويتلو الغناء التمثيل وقد اجاد الفرنسويون فيهِ اجادةً لا ترى لها مثيلاً في المشرق ومثلوا الطبيعة اصدق تمثيل فاني رايت البرق الخلب في هذا المشهد يتوالى تواليًا لم ار لهُ مثيلاً الاّ في سواحل الشام او جبال سويسرا . والرعد القاصف ترتجف لهُ الدار ارتجافًا حتى يضع الحضور اصابعهم في آذانهم حذر الصواعق . ومناظر الفجر والشفق والجبال والغياض والحراج والمساكن كل ذلك جميل بديع ترى فيهِ الطبيعة تتجلى لعين الرائي خالية من كل مبالغات الخيال. وكان الممثلون يمثلون قصة شمشون الجبار فلبسوا ثيابًا شرقيّة ونصبوا بيتًا لدليلة كبيوت اهالي فلسطين في هذا الزمان ولكنهم كانوا يتكلمون وقوفًا في غالب الاحيان ويخاطب احدهم الآخر وهو ملتفت الى الجمهور لا الى من يخاطبهُ وهو خروج عن الطبيعة لا مسوّغ لهُ. ونُصب هيكل داجون اله الفلسطينيين في غزة واجتمع فيهِ اقطاب الفلسطينيين على ما جاء في التوراة وأُتي بشمشون بعد ان سملت عيناهُ ولم تكن تيجان اعمدة الهيكل من النوع الشائع في فلسطين حينئذٍ بل من النوع اليوناني (اليونيك) . ووقف شمشون بين عمودين من تلك الاعمدة ومسكهما بيديهِ وقال على

وعلى اعدائك يا رب وجذبها جذبة عنيفة فسقطا على الارض وسقط الهيكل كلهُ على الفلسطينيين الذين فيهِ رجالاً ونساء وكان لسقوطهِ رجة عظيمة وتراكمت انقاضهُ على القتلى والجرحى تراكماً لا مثيل لهُ الاَّ اذا زلزلت الارض زلزالها فهدمت المنازل على سكانها. لكن لم يصب احد بمكروه كما لا يخفى

ويتلو التمثيل الرقص. وكان الأُبرا واكثر ملاهي باريس صنعت لهُ فهو بيت تصيدها بل هو المقصود بالذات من حضور اكثر المشاهدين اليها كما يظهر من ارتياحهم الى الرقاصات وتصفيقهم لهنَّ واستعادتهنَّ مرارًا. وهو بالغ حد التهتك والخلاعة تحمرُّ لهُ وجنة الشرقي خجلاً . اما الباريسيون والباريسيات فلا يرون فيهِ شيئاً يستحيا منهُ ورأيت النساء لا يكتفينَ بما يرينهُ بعيونهنَّ بل يستعنَ بالنظارات على استجلاء ما لا يرى جليًّا عن بعدٍ. وغنيٌّ عن البيان ان الرقاصات يكدنَ يكنَّ عاريات ولا يستر عريهنَّ الاَّ قميص رقيق او حبال من الخرز تبتعد عن اجسامهنَّ كيفما درنَ ولعلهُ فنٌّ جديد في الرقص اقتبسنهُ من الزنوج. واني لأعجب كيف يستقبح الافرنج رقص الغوازي المصريات وعندهم مثل رقاصات باريس . وقد التفتُّ مرارًا لارى زولا الكاتب الشهير بينهم فأسالهُ عن رأيهِ في هذه الخلاعة وعما يظنهُ من تاثيرها في آداب الامة . فانهُ اذا صدق المؤرخون فالخلاعة والتهتك رائدا الخراب والدمار ولم تتوغل فيهما امة من الامم الاَّ قُبيل ان تقضي عليها كانهما النور الاخير الذي ينبعث من سراج حياتها

وكثيرًا ما كان الرقاصات يجتمعن جماعةً كبيرة ويخطرنَ في اشكال هندسيَّة موافقة لنغم الموسيقي فيظهرنَ من الخفة والرشاقة ولطف الحركات ما يدهش الابصار حتى كأنهنَّ جواهر المادة تقترب وتبتعد وتتحرك على صورشتى تبعاً لتأثير المؤثرات الطبيعيَّة فيها وذلك مما تستجملهُ العين حتمًا ولا ارى بابًا للانتقاد عليهِ وحبَّذا لو كان الرقص كلهُ من هذا القبيل

وكان الحضور جالسين رجالاً ونساء في غاية الاحتشام وكانوا يخرجون في الفترات التي بين الفصول ثم يعودون الى مجالسهم وكأنهم خرس لا تكاد تسمع لهم صوتاً ولا تقلق الدار الاَّ بالمصفقين المستأجرين لهذه الغاية. ومكان جلوس المشاهدين غير كبير فيسع زهاء الفين ومئة وخمسين نفسًا مع ان ملهى الهبودروم في باريس يسع عشرة آلاف نفس من المشاهدين

وقد بنيت دار الأُبرا بين سنة ١٨٦١ و١٨٧٤ وبلغت الاموال التي أُنفقت على

بنائها وابتياع ارضها نحو مليونين من الجنيهات ولم تزل الحكومة الفرنسوية تنفق عليها ثمانمئة الف فرنك كل سنة ويأخذ بعض المغنين فيها من مئة الف فرنك الى مئة وعشرين الفاً في السنة اجرة غنائهِ

ويتلو الاوبرا التياترو الفرنسوي وهو قديم جداً ولا يقابل بالاوبرا في بنائهِ وزخرفتهِ ولكنهُ اشهر منها في التمثيل على ما يقال ويفضلها كثيراً في تمثيل الروايات التاريخية . والحكومة تنفق عليهِ كل سنة ٢٤٠ الف فرنك. وفي باريس عشرون ملهى للتمثيل كالاوبرا كوميك والاوديون والجمناز. وفيها ملاهٍ كثيرة تلعب فيها الخيول والبهلوانات والمشعوذون ومنهم رجال يقطعون بالسيوف ويأكلون الزجاج . ويحسن ان تعدّ مشاهد الپانوتزم من هذا القبيل لان اكثر ما يجري فيها من قبيل الشعوذة والخداع ولو كان شيء من زعمائها . وفيها ايضاً مشاهد كبيرة ترى فيها صوراً تاريخية متوالية موضوعة على اسلوب تظهر فيهِ كأن ما فيها اجسام حقيقية لا صور مصورة. من ذلك بنوراما حديقة التويلري وفيها صور اشهر الحوادث التي حدثت في باريس منذ مئة سنة الى الآن وهي جديرة بان يراها كل من يأتي هذه العاصمة فيرى فيها صور اكثر مشاهير العصر من القوّاد والعلماء والشعراء ورجال السياسة واشهر الحوادث التي حدثت في باريس في اوائل هذا العصر. واماكن الغناء والرقص كثيرة ايضاً يقصدها الناس افواجاً

اما المتنزهات فحياة باريس والرئة التي تتنفس بها الهواء النقي وهي كثيرة في المدينة وضواحيها وقد تفنن الفرنسويون في غرس اشجارها وتنظيم ازهارها ونصبة التماثيل فيها وانشأوا في بعضها بيوتاً لتربية النباتات التي يؤتى بها من البلدان الحارّة ولا تعيش في اقليم باريس ما لم تسقَ الماء السخن وتحاط بالهواء الحار كالنخل والموز والسرخس . وفي غاب بولون بيوت كبيرة لهذه النباتات وقد رأيت السرخس فيها اشجاراً كبيرة كاشجار النخل وذلك مما لا تراهُ في اقليم الشام ومصر ورأيت شجر جوز الهند فتحققت ما قالهُ كتّاب العرب من ان سعفهُ كسعف النخل تماماً ولا يفرق عنهُ الّا في ان خوصهُ يقلوب فزاوية الخوص الى اعلى لا الى اسفل كما هي في النخل. واشكال النخل هناك لا تحصى لكثرتها وكذا اشكال السراخس ونحوها من نباتات الاقاليم الحارّة. وفي هذه المتنزهات ساحات فسيحة يلعب فيها الاولاد على بساط النبات وفي بعضها بيوت واقفاص للحيوانات والطيور التي لا تعيش عادة في فرنسا وحياض للاسماك والوحوش البحرية فترى فيها الفيل والاسد والببر (النمر الهندي المخطط) والنمر والفهد والضبع والدب والذئب والثعلب

وبقر الوحش وحمار الوحش وثور المسك وانواع القرود والايائل والنسور والعقبان واشكال الببغاء والطيور المفردة واسد البحر والفظ والتمساح والسلاحف الكبيرة واشكال كثيرة من الاسماك الى غير ذلك مما يطول شرحهُ . واكثر هذه الحيوانات في بستان النبات وغاب بولون . والاسماك في الاكواريوم الذي بقرب قصر التروكادرو

اما خمائل الرياحين وما فيها من الازهار البديعة والالوان والاشكال

من شقيقٍ واقحوانٍ وورد وخزامى ونرجسٍ وبهارِ

فما يقصر الوصف عنهُ . وكثيرًا ما كنت اقف امام تلك الخمائل اردّد اقوال الوصّاف من شعراء المشرق والمغرب فلا اراهم بالغوا مقدار ذرة بل لو اقاموا في حدائق باريس لنظموا من الزهريّات ما يشفي بهِ الركبان في كل اين وآن

ولقد يظن القارىء ان هذه المتنزهات حدائق صغيرة للازهار والرياحين وهي في الحقيقة حراج كبيرة فمتنزه بولون مساحتهُ الفان ومئتان وخمسون فدانًا ومثلهُ متنزه قنسن. وحديقة منسو مساحتها اكثر من ٢٢ فدانًا . وحديقة منسورس مساحتها اربعون فدانًا. وحديقة قصر لكسمبرج مساحتها نحو ذلك . وحديقة التويلري والحرجة الكبيرة الممتدة منها الى قوس النصر طولها نحو ميل ونصف وكلها متنزه لاهالي باريس . وهذه الحراج والحدائق من الوسائط العديدة لتخفيف مرارة الحياة واعبائها ولكنها لا تخلو من حانات المسكر فتفسد هذه بعض ما تصلحهُ تلك ولا بدّ دون الشهد من ابر النحل

الاستاذ تندل

لم نكد نصحح الطبع الاخير من ترجمة فقيد مصر المرحوم علي باشا مبارك المدرجة في هذا الجزء من المقتطف حتى نعت الينا الجرائد الاوربيّة عالمًا من اكبر علماء اوربا ومؤلفًا من اشهر المؤلفين وهو الاستاذ تندل احد العلماء الثلاثة الذين اضرموا نار الحرب العلمية مدة الاربعين سنة الماضية وقادوا العقول الى مواطن الظفر وهم دارون وهكسلي وتندل. وقد امتاز تندل على اقرانهِ وعلى العلماء قاطبةً بايضاحهِ غوامض العلوم الطبيعية واثبات قضاياها بالتجارب العلمية والدفاع عن حقائقها بالادلة الجدليّة. وهو صاحب الخطبة الغراء التي القاها في مدينة بلفست منذ عشرين سنة فقام لها العلماء وقعدوا وتصدّى لها المعترضون من كل فج واضطرمت بسببها نار الجدال بين الروحيين والطبيعيين والماديين.